كلية : الاداب

القسم او الفرع :تاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : ا. د. عبد صالح محمد

اسم المادة باللغة العربية :العباسي الاول

اسم المادة باللغة الإنكليزية : The first Abbasid era

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: الامارة السامانية ،المعتمد على الله، المعتضد بالله، ثورة الزنج،المكتفي بالله. الامارة الحمدانية، الامارة الاخشيدية.

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية:

The Samanid Emirate, Reliant on God, Al-Mu'tadid by God, Zanj Revolution, Al-Muttad Allah. The Emirate of Hamdaniyah, the Emirate of Al-Akhshidiyyeh.

...

تناولت في هذه المحاضرة : الامارة السامانية ،المعتمد على الله، المعتضد بالله، ثورة الزنج ،المكتفي بالله. الامارة الحمدانية، الامارة الاخشيدية.

الامارة السامانية:

السامانيين: هم مؤسسو الامارة السامانية (٢٦١ – ٣٨٩ هـ) / (٨٧٤ – ٩٩٩ م) التي حكمت في خراسان وبلاد ماوراء النهر ،يعود نسبهم الى سامان بن خداة وهو احد النبلاء الفرس الذي ينحدر نسبه من بهرام جوبين، وقد وفد هذا على اسد بن عبد الله القسري والي خراسان في عهد الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥هـ) / (٧٢٣- ٧٤٢م) فأكرمه وقهر اعدائه، فاعتنق الاسلام على يديه وسمى ابنه اسدا" تبركا به، وكان لاسد اربعة اولاد هم نوح واحمد ويحيى والياس وكان الخليفة العباسي المأمون (١٩٨ – ٢١٨ هـ)/ (٨١٣- ٨٣٣م) يثق بهم فقربهم اليه، وكان احمد اكثر شجاعة" ومقدرة" من بقية اخوته، كان له ولدان هما ناصر واسماعيل ، وبعد وفاته تولى ابنه اسماعيل ولاية خراسان بأمر من الخليفة العباسي المعتضد بالله (٢٧٩ – ٢٨٩ هـ) / (٨٩٢ – ٩٠١ م) وامره الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ) / (٨٩٢- ٩٠٧ م) على ولايته هذه على ان يكون ابنه احمد من بعده، وبذلك تأسست الامارة السامانية واصبحت وراثية، وضعفت الامارة السامانية بعد وفاة الامير نصر بن احمد سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م اذ استقل الامراء السامانيون كل منهم بناحية وازدادت ضعفا" بعد تولي عبد الملك بن نوح حكم الامارة سنة ٣٤٣ هـ/ ٩٥٤م اذ ازداد استقلال الامراء بولاياتهم عن الامارة السامانية ، وبعد تولي اخوه منصور بن نوح الامارة سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م بدأت الامارة بالتدهور لاسيما بعد زيادة نفوذ البويهيين (٣٣٤- ٤٤٧هـ)/(٩٤٥-١٠٥٥ م) حتى انتهت على ايدي الغزنويين (٣٥١-٥٨٢ هـ)/(٩٦٢ - ١١٨٦ م) سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩م.

المعتمد على الله: المعتمد بالله (٨٧٠-٨٩٢م) الموافق ٢٥٦هـ إلى ٢٨٤هـ هو أحمد المعتمد على الله. أبو العبّاس ابن المتوكّل على الله جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد العّباسي، كان من مطالب الأتراك أن يتولى أمر الجيش أحد إخوة أمير المؤمنين المعتمد على الله، ولا يرأسهم واحد منهم لما كان بينهم من الخلاف والمنافسة، فولَّى المعتمد أمرهم إلى أخيه أبي أحمد طلحة بن المتوكل، فولاه أمر الجيش والولايات.

فصار السلطان الحقيقي لأبي أحمد لا للخليفة، وصارت كلمة أبي أحمد هي العليا، على الأتراك وقوادهم فحسَّن ذلك الأحوال بعض التحسين ولكن المعتمد نفسه ساءت أحواله؛ لأنه لم يترك له شيء من التصرف حتى إنه احتاج في بعض الأحيان إلى ثلاثمائة دينار فلم يجدها، والمعتمد هو أول خليفة انتقل بعاصمة الخلافة من سامراء إلى بغداد ثانية منذ عهد المعتصم.

صفات أبي أحمد طلحة

كان أبو أحمد غزير العقل حسن التدبير، يجلس للمظالم وعنده القضاة، فينصف المظلوم، وكان عالمًا بالأدب والفقه وسياسة الملك، وله محاسن ومآثر كثيرة لقبه أخوه بالموفق بالله، ولما هزم صاحب الزنج لقبه الناس الناصر لدين الله.

ثورة صاحب الزنج

في رمضان سنة ٢٥٥هـ قام دعي في آل علي لا يعرف له نسبٌ ولا رحمٌ، زعم أن اسمه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فادعى أنه عباسي، ودعا الناس إلى طاعته

ظهرت فتنته أولاً بالبحرين، ثم تحول عنهم إلى البادية، ثم إلى البصرة سنة ٢٥٤هـ.

ثم مضى الدعيُّ ومن اتبعه حتى وصل بغداد، فأقام بها عامًا يستميل الناس سرًّا، ثم شخص إلى البصرة، ونزلوا بقصر قريب منها يعرف بقصر القرشي، وهناك استعان بالعبيد الذين كانوا يعملون بتلك النواحي في حمل السباخ وغيره لأهل البصرة، وهم كثيرو العدد يهمهم أن ينالوا الحرية ويخرجوا مما هم فيه فكيف لو وُعِدوا مع الحرية بالسيادة على مالكي رقابهم؟

فأخذ هذا الدعيُّ منهم غلامًا اسمه ريحان بن صالح ووعده أن يكون قائدًا، وأمره أن يحتال للعبيد الذين يعرفهم حتى يجيبوه إلى نحلته، ويتركوا سادتهم وأعمالهم فاجتمع إليه كثير منهم فخطب فيهم ومناهم، ووعدهم وحلف لهم الأيمان الغلاظ ألا يغدر بهم، والتفت الزنوج حوله وراقتهم دعوته.

وكان كل جيش يبعث من قبل الخليفة يهزمه، ومضى يعيث في الأرض فسادًا يحرق وينهب، واستفحل أمره، وعظم شره وخيف على الدولة منه فلم ير أبو أحمد الموفق إلا أن يحشد إليه الجموع ويتولى هو قيادتها بنفسه، واصطحب معه ابنه أبا العباس، وكان نائبه، وتطوع الناس لحرب هذا الدعي.

وقد كانت لأبي أحمد معه وقائع مذهلة وخطوب جسام استمرت أعوامًا، استعان فيها الموفق بربه ودعاه وناداه وتحمل الشدائد حتى أنه أصيب بسهم، فمرض منه أيامًا، واضطرب الناس أثناء فترة مرضه، ولكنه كان يحثهم على المواصلة حتى شفاه الله فأتم له النصر على عدوِّه، وحملت إليه رأس الخبيث فلما تيقن منها خرَّ لله ساجدًا، وفرح المسلمون بذلك في المشارق والمغارب، وكان ذلك في صفر سنة ٢٧٠هـ، فكانت أيام هذا الدعي من لحظة خروجه إلى مماته أربع عشرة سنة.

وفي هذا العهد
قامت الدولة الطولونية بمصر سنة ٢٥٨هـ واستمرت حتى سنة ٢٩٢هـ، ومؤسسها أحمد بن طولون كان مملوكًا تركيًّا، وسيأتي لها مزيد تفصيل.

كما قامت في هذا العهد الدولة السامانية سنة ٢٦١هـ ببلاد ما وراء النهر واستمرت حتى سنة ٣٨٩هـ، أي دامت قرابة مائة وسبعين سنة، وقامت على أيدي آل سبكتكين من جهة، والترك الخاقانية من جهة أخرى، وسيأتي مزيد من بيان ذلك.

وفي عهده ظهر القرامطة بثلاثة مواضع بالبحرين والعراق والشام، وكذلك كان يشتغل دعاة الفاطميين باليمن وإفريقية، فكأن الدعوة الإسماعيلية رتبت أن يكون ظهورها في آن واحد بجميع الجهات الإسلامية حتى لا يكون لبني العباس قِبَل بملاقاة شرها وكذلك كان. ثم توفي المعتمد في ٩ من رجب ٢٧٩هـ.

خلافة المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق طلحة
(من رجب ٢٧٩هـ حتى ربيع آخر ٢٨٩هـ)

كان من خيار خلفاء بني العباس ورجالهم، وكان شهمًا جلدًا، موصوفًا بالرجولة، وقد لقي الحروب، وعرف فضله، فقام بالأمر أحسن قيام، وهابه الناس، وكانت أيامه طيبة، كثيرة الأمن والرخاء، وقد أسقط المكوس، ونشر العدل، وكان يسمي "السفاح الثاني"؛ لأنه جدد ملك بني العباسي، وكان قد خَلقَ وضعف، وكاد يزول، وكان في اضطراب منذ قُتل المتوكل.

ومنع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة، وما شاكلها، ومنع القصاص والمنجمين من القعود في الطريق، وكان يمسك عن صرف الأموال في غير وجهها؛ فلهذا كان يبخله بعض الناس.

وفي أيام المعتضد بالله زاد الغزو في بلاد الروم، سواء أكان عن طريق الثغور الشامية وخاصة طرسوس التي غالبًا ما كانت بأيدي الطولونيين أم عن طريق ثغور الجزيرة. وكذلك فقد كان غزو بلاد الترك التي بعد ما وراء النهر حيث كان يقوم السامانيون بالغزو، وقد سار إسماعيل بن أحمد بن أسد الساماني عام ٢٨٠هـ إلى بلاد الترك، وأسر ملكهم وزوجته خاتون، وجرى تبادل الأسرى بين المسلمين والروم عام ٢٨٣هـ، وكان عدد الأسرى من المسلمين أربعة وخمسمائة وألفين.توفي ليلة الاثنين لثمانٍ بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين، وعهد بالولاية لابنه المكتفي.

الامارة الاخشيدية:

قبل ولادة الدولة الإخشيدية تدهورت أحوال الدولة الطولونية في أيامها الأخيرة في مصر وتطلعت الدولة العباسية إلى استعادتها والسيطرة عليها من جديد بعد أن غلَّ الطولونيون يد الدولة العباسية عنها زمنا طويلا، فأرسلت من قبلها جيشا من العراق يقوده محمد بن سليمان لإعادة مصر إلى حوزتها، وكان من بين قادته "طغج بن محمد"، فلما نجح الجيش في مهمته واستعاد مصر للدولة العباسية عين "طغج" واليًا على قنسرين في بلاد الشام، ثم ما لبث أن انتقل إلى بغداد حاضرة الخلافة العباسية مصطحبًا معه ابنيه محمد وعبيد الله، والتحقوا بخدمة الخليفة العباسي المكتفي بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ = ٩٠١-٩٠٨م)، غير أن الأيام عبست في وجه "طغج بن محمد" فغضب عليه الخليفة العباسي وألقى به في غياهب السجن ومعه ولداه، وظل محبوسا حتى توفي وخرج ابناه من السجن، فالتحق عبيد الله بخدمة أمير شيزار بفارس، في حين التحق محمد بخدمة أحمد بن بسطام عامل الخراج بالشام.

ميلاد الدولة الإخشيدية

ولما انتقل "ابن بسطام" إلى مصر لتولي خراجها، استمر محمد بن طغج في خدمته، ثم التحق بعد وفاته بخدمة ابنه "علي بن أحمد" الذي خلف أباه في منصب الخراج، وظل يعمل معه حتى عزل عن خراج البلاد سنة (٣٠٠ هـ

= ٩١٢م) وبقي في مصر لم يغادرها واتصل بواليها "تكين"، وعمل معه في صفوف جيشه، وبدأ في الظهور والتألق، فاشترك معه في صد هجمات الفاطميين، في المغرب التي كانت تتطلع إلى مصر لضمها إليها وانتزاعها من الدولة العباسية، ورشحته كفاءته لتولي المناصب القيادية، فتولى إدارة مدينة الإسكندرية سنة (٣٠٧هـ = ٩١٩م)، وأظهر مهارة وقدرة في إدارتها والدفاع عنها جعلت الخليفة العباسي المقتدر بالله يعهد إليه بإدارة الرملة بفلسطين سنة (٣١٦ هـ = ٩٢٨م)، ثم بولاية دمشق سنة (٣١٩هـ = ٩٣١م)، ثم أضاف إليه الخليفة العباسي "القاهر بالله" ولاية مصر سنة (٣٢١هـ = ٩٣٣م) لكنه لم يذهب إليها بسبب الفتن التي كانت تعصف بها.

ولاية مصر

لم يجد الخليفة العباسي الراضي بالله خيرًا من محمد بن طغج ليوليه مصر، ويعيد إليها الأمن والسلام، وقمع فيها الفتن والثورات، فعهد إليه بها سنة (٣٢٣هـ = ٩٣٥م) واستعد ابن طغج لما أسند إليه، وتجهز للأمر وأعد عدته، والأمر ليس هينًا بعد أن وقف في وجهه أحمد بن كيفلج والي مصر السابق، ومحمد بنعلي الماذرائي عامل الخراج، وحالا بينه وبين تولي مقاليد الأمور، فلجأ ابن طغج إلى سلاح القوة والبطش فتسلح بهما، واتجه إلى مصر على رأس حملة عسكرية برية، ترافقه حملة بحرية نجحت في الاستيلاء على ثغور مصر في دمياط، وسارت في النيل حتى بلغت "سمنود"، وهناك التقت بسفن ابن كيلخ والماذرائي وألحقت بهما هزيمة ساحقة في (شعبان ٣٢٣هـ = يوليو ٩٣٥م)، وواصلت سيرها حتى بلغت جزيرة الروضة بالقاهرة، وفي أثناء ذلك كانت قوات ابن طغج البرية قد نجحت في فتح مدينة الفسطاط في (رمضان ٣٢٣هـ= أغسطس ٩٣٥م).

وما كادت أقدامه تستقر في عاصمة البلاد حتى بدأ في تثبيت نفوذه، والضرب بشدة على الخارجين على النظام، والقضاء على القلاقل التي يثيرها أنصار الحاكم السابق، والعمل على صد هجمات الفاطميين الذين لم ييئسوا في ملاحقته بحملاتهم العسكرية المتكررة، وقد أدت جهوده إلى استقرار الأوضاع في مصر، وتلقيب الخليفة له بلقب الإخشيد، وهو لقب كان يطلق على ملوك فرغانة، وهي إحدى بلاد ما وراء النهر التي تتاخم بلاد التركستان، ويعني هذا اللقب باللغة التركية "ملك الملوك".

عقبات في طريق الإخشيد

غير أن هذا الاستقرار الذي حققته الدولة الإخشيدية في مصر والشام كدَّر صفوة تطلع ابن رائق الملقب بأمير الأمراء إلى الشام وكان يتقلد إمارة الجيش ببغداد، وخرج جميع البلاد الإسلامية التابعة لدولة الخلافة العباسية، فأخذ يهدد الإخشيد ويطالبه بمال كأنه جزية على الممتلكات الإخشيدية في الشام، فلم يرق ذلك للإخشيد، واشتعل القتال بينهما حتى تم الصلح بينهما على أن يحكم ابن رائق الولايات الشامية شمال الرملة، وأن يدفع الإخشيد إليه جزية سنوية قدرها ١٤٠ ألف دينار، على أن الإخشيد لم يلبث أن استعاد الشام بعد مقتل ابن رائق سنة (٣٣٠هـ – ٩٤١م)، فدخل دمشق وفرض حكمه بحد السيف، وأصبحت الشام كلها تحت سيطرته، وأضاف إليه الخليفة العباسية "المتقي بالله" مكة والمدينة.

مشهد آل طباطبا أحد آثار الدولة الإخشيدية

الخليفة العباسي يستنجد بالإخشيد

نجح الإخشيد في أن يوطد علاقته بالخليفة التقي بالله ويوثق عرى المودة بينهما، إلى الحد الذي جعل الخليفة يستنجد به بعد أن ساءت العلاقة بينه وبين "تغرون" أمير الأمراء، فكتب إليه أنه سائر للقائه في "الرقة" بالعراق سنة (٣٣٣ هـ = ٩٤٤م)، وفي هذا اللقاء بالغ الإخشيد في إظهار آيات الولاء للخليفة العباسي، وعرض عليه أن يسير معه إلى مصر ويكون هو ورجاله في خدمته، لكن الخليفة العباسي رفض دعوة الإخشيد، ومع ذلك فقد حصل على تقليد جديد من الخليفة بولاية مصر، وحق توريث إمارتها لأبنائه من بعده لمدة ثلاثين سنة قائلا له: "وليتك أعمالك ثلاثين سنة فاستخلف لك أونوجور"، وهو أحد أبناء محمد بن طغج.

الإخشيد والحمدانيون

ولما عاد الإخشيد إلى مصر بعد لقاء الخليفة العباسي رأى سيف الدولة الحمداني الفرصة سانحة للاستيلاء عليها وانتزاعها من أيدي الإخشيديين، بعد أن نجح في تكوين دولة قوية، فسار إلى حلب وقنسرين وحمص وأنطاكية

والثغور الشامية، فاستولى عليها، فلما وصلت هذه الأنباء الإخشيد خرج على رأس جيش كبير للقاء سيف الدولة الحمداني، ووقعت بينهما معركة عند قنسرين بالقرب من حلب، وكان النصر فيها للإخشيد، لكنه لم يكن نصرًا حاسمًا، وهو ما دعا الإخشيد إلى الجنوح إلى السلم والميل إلى الصلح، فعقدت بينهما معاهدة في (ربيع الأول ٣٣٤هـ = ٩٤٥م)، واتفقا على أن يكون لسيف الدولة من حمص وأعمالها إلى الشام، وأن يكون للإخشيد من دمشق وأعمالها جنوبا، وزيادة في توثيق الصلح بين الطرفين، تزوج سيف الدولة من فاطمة بنت عبيد الله بن طغج، وسار إلى حلب واستقر بها، وسار الإخشيد إلى دمشق واستقر بها إلى أن مات فيها في (٢٤ من ذي القعدة ٣٣٥هـ = ١٦ من يونيو ٩٤٦م)، وهو في السادسة والستين من عمره، بعد أن حكم مصر والشام إحدى عشرة سنة، ونقل جثمانه إلى بيت المقدس حيث دفن هناك، وتولى بعده ابنه أبو القاسم أونجور، ولما كان صغيرا لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره لا يستطيع النهوض بأعباء الحكم، فقد تولى كافور الإخشيد تدبير أمره وإدارة شئون الدولة.

العطاء الحضاري

ونظرًا لطموح الإخشيد في بناء دولة قوية ثابتة الأركان فقد عنى بالجيش وما يتصل به عناية فائقة، حتى بلغ عدده في بعض الروايات التاريخية أربعمائة ألف جندي من مختلف الأجناس في مصر والشام، وأنشأ دارا لصناعة السفن بساحل الفسطاط، وأطلق عليها دار الصناعة الكبرى، وجعل من دار الصناعة التي في جزيرة الروضة بستانا فائق الروعة والجمال بالغ الحسن والبهاء، أطلق عليه المختار، وكان يفاخر به أهل العراق، وأنشأ بستانًا آخر في شمال الفسطاط عرف باسم البستان الكافوري، ومكانه اليوم سوق النحاسين بالقاهرة.

وكان بلاط الإخشيد مجمعا للعلماء وملتقى لأهل اللغة والأدب، يصلهم بعطاياه، ويمنحهم جوائزه، وكانت البلاد غنية بهم، واشتهر منهم في الفقه والحديث أبو إسحاق المروزي، وأبو سعيد عبد الرحمن بن يونس، وفي التاريخ ابن دحية، والكندي وابن البطريق، ومن النحاة أحمد بن محمد بن ولاد، ومن الشعراء أبو الفتح محمد الحسين المعروف بكشاجم.

ونهض الإخشيد بالحياة الاقتصادية للدولة، فزادت غلة الأرض وازدهرت الصنعة ونشطت التجارة، وقد أعجب المؤرخ المعروف أبو الحسن علي المسعودي بالنهضة التي أحدثها الإخشيد، وسجل ذلك في كتبه ومؤلفاته حين زار مصر.

وعنى الإخشيد بزيادة العمران وتشييد القصور وإقامة البساتين وإنشاء المساجد، والبيمارستانات لاستقبال المرضى ومعالجتهم.

وفي عهد الإخشيد ظهر منصب الوزير رسميًا لأول مرة في مصر، وكان أبو الفتوح الفضل بن جعفر الفرات هو أول من تولى هذا المنصب حتى وفاته سنة(٣٢٧هـ=٩٣٩م) ثم خلفه ابنه جعفر بن الفضل.

ويذكر للإخشيد أنه كان يجلس للنظر في المظالم يوم الأربعاء من كل أسبوع، وكان ذا دين يحب الصالحين ويتقرب إليهم ويحضر مجالسهم، وقد دفعته هذه النزعة الطيبة إلى هدم أماكن الفساد واللهو وإغلاقها.
وتصفه الحوليات التاريخية بأنه كان مَلِكًا حازما متيقظا لأمور دولته، حسن الرأي والتدبير شديد البطش، ذا قوة مفرطة قوي الساعدين حتى لا يستطيع غيره أن يجر قوسه، وفي الوقت نفسه وصفته بحبه الشديد للمال وميله إلى مصادرة أموال كبار رجاله لأدنى شبهة، أو لسد نفقات الدولة والإنفاق على جيشه، وقد جمع من المُصادرة أموالاً كثيرة بالغ المؤرخون في تقديرها بعد وفاته.

المراجع:

١-فاروق عمر فوزي، طبيعة الدعوة العباسية.

٢-عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الاول.

٣-رشيد الجميلي، تاريخ الدويلات الاسلامية في العصر العباسي في المشرق والمغرب .

٤-طارق فتحي سلطان، التاريخ الاسلامي في العصر العباسي.

٥-طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ الدعوة العباسية.

٦-العبادي، احمد مختار، تاريخ الدولة العباسية.